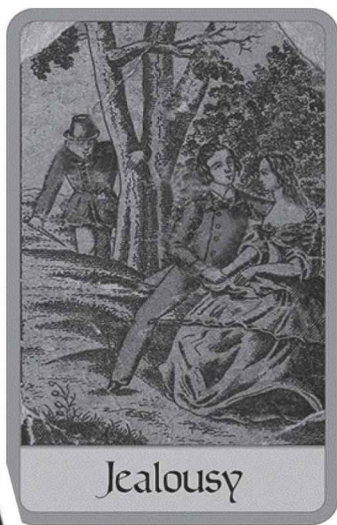


1

في البدء كان ثلاثة  
7000 قبل الميلاد



\*\*\*\*\*

«عين البشر إن لمحت أرضاً.. تصير خراباً»

\*\*\*\*\*

أرضٌ بحث عنها بنو الإنسان حتى عميت عيونهم ولم يجدها أحد، إلا قليل، وكل مَنْ علم بأمرها أخفاه لغرض في نفسه. في تلك الأرض تبدأ قصتنا، في زمان بعيد ربما يكون قبل تسعة آلاف عام. صخور جبلية خضراء ترتفع إلى مد بصرك، شلالات ساحرة تنهمر من اليمين والشمال على نهر النيل الصافي كالكريستال، لا تظن أن ذاك هو نيل إفريقيا، بل هو نيل آخر في موضع آخر، يجري كاللؤلؤ وسط حيوانات الليزو الرمادية التي تنظر إليك في ريبة، وطيور التيراتورن الضخمة تُحلّق فوقنا وتهبط كل حين بأعناقها لتشرب، وحيّات عملاقة رابضة على الضفاف تتحرك ببطء.

وسط كل هذا ظهرت صورة يد سمراء لرجل بُني اللون مائل إلى السواد، إنسان مثلي ومثلك يمسك بعود من نبات وترتجف أصابعه، أمامه لوح من طين يحاول جاهداً أن يكتب عليه أي شيء لكن الرعشة تمنعه. طويلاً كان، جميل الملامح، فيه صفاء مدهش، له شعر طويل جَعْدٌ يصل إلى نهاية رقبتة. بجواره وقف ملاك مهيب جليل اسمه «رازئيل» متمثلاً في شكل بشر يطمئنه ويربت عليه ويقول:

- سرات.

كانت تلك لغة سريانية قديمة جداً، أعاد الملاك الكلمة على الرجل، كان يقول له «اكتب». ظل الرجل يرتجف حتى قال الملاك:

- هذا الغصن الزهيد إذا وضعته على هذا اللوح من الطين امتلكت  
سر القلم، وصرت سيداً على كل دابة تسير على الأرض.

وكتب الرجل وتعلّم بالقلم وسار مع رازئيل ينظر إلى خلق الله من  
حوله، حتى أتيا تلةً عاليةً، نظر من فوقها إلى البحر فأتسعت عيناه في  
انبهار. كان يرى على سطح البحر وأمواجه عجباً، مدائن ليست كأبي  
مدائن، تشاكيل من بنيان ترسو على صفحة الماء، قباب ملونة وتماثيل  
وجبال بارزة من البحر عليها مساكن معلقة في الجبال كالقناديل يلفها  
الضباب، قال الرجل الأسمر:

- ما تلك التي هناك يا رازئيل؟

ضيّق رازئيل عينيه الزرقاوين وقال:

- هؤلاء قوم خير لك ألا تقربهم ولا يقربوك، فلا تحرك قدمك إلى  
هناك، بل لا تحرك حتى خواطر قلبك.

نظر الرجل بوجهه الوسيم ناحية المدائن في قلق، كان ذاك الرجل  
الصافي القلوق هو أبي، وهو أبوك، وأبو البشرية كلها.. آدم.

\*\*\*\*\*

«بومة وَحَيَّة وامرأة، في روح واحدة».

\*\*\*\*\*

شفتان كأنهما التوت والياقوت، فاتنة حادة الملامح، ذات بشرة بيضاء  
ورمشين طويلين يعلوهما شعر ثائر كثيف بين البُني والبرتقالي، كانت  
تمر بكرب عظيم في غابة كثيفة وسط أرض عدن، رياح عاصفة تضرب  
وجهها وملابسها والشجر من حولها، وهي تحتتمي بشجرة عملاقة علّمها  
الملاك أن تشق جذعها وتسكن فيها. لم تبدُ على وجهها أي علامة للخوف  
وحولها الحيوانات تركض لتلوذ بأي شيء. مالت شجرتها العملاقة  
مع الريح حتى انهارت بكامل ثقلها فجأة على رأسها. اقشعرَّ جلدها  
والشجرة تهوي عليها، ثم توقفت الشجرة بغتة عن اندفاعها وارتجّت

الأرض من تحت أقدامها، نظرت بعيون مرتعبة فرأته، ردَّ الشجرة بكتفه فقط حتى تشققت الأرض من تحت قدميه، كان قوي الجسد والروح، نادته:

- سامنجلوف!

صوتها يقع في النفس موقعاً أشد من السهام، كانت تنادي الملاك الموكل بها، الذي أنقذ حياتها متمثلاً في هيئة بشر، لكن الخطر لم يتوقف، إذ سقط من جذع الشجرة ثعبان مرفوع الرأس ينظر إليها في تهديد.. وبغته انقضت. انقضت يد المرأة بعزم لا يلين لتمسك برقبة الثعبان، فأخذ يتلوى حتى سقط من يدها، ورفع رأسه المرعب لينفث سُمّه، وقف الملاك مندهشاً لشجاعته، ثم صاح فيها:

- ابتعدي عنه يا ليليث، إن سُمه قاتل.

نزلت قدم قوية على رقبة الثعبان فساوتها بالأرض، ثم هوت ضربة عصا غليظة فسحقت رأسه، نظرت ليليث بدهشة إلى صاحب القدم القوية، والجسد المفتول، ذي الوجه الصافي النضر، كان هذا آدم، في أول لقاء بينه وبين المرأة الأولى. سألته ليليث بإعجاب:

- أنت آدم؟

نظر إليها وكل ذكريات وحدته تتبدد وهو يقول:

- أوتعرفيني؟

قالت ليليث وهي تتفحصه:

- ألسـت تعرفني وجئت هنا لأجلي؟ فأنا كذلك أعرفك، فلديّ مثل الذي عندك من العلم.

قال آدم بصوته الدافئ:

- فأنتِ مني وأنا سَكَنك، وحيثما تكوني أكن.

قالت وعيونها تنبض دهاءً:

- ومن أين أتيت أنت؟
- خلقتني الله بيده، ثم خلقك مني و...
- قاطعته بشيء من الحدة:
- وما الله؟
- اتسعت عين آدم خيفة من قولها وقال:
- هو خالق كل شيء ونحن عباده.
- صاحت ليليث بروحها السوداء:
- هل رأيته؟ أين هو، أيخشى الظهور؟ فليعيش مَنْ يشاء عبدًا، أما أنا فلست عبدة لأحد.
- خفق قلب آدم الصافي، ولم يكن يدري ما ليليث.. قالت قولتها في وجهه وانصرفت بعيدًا عنه. كفرت ليليث ولم يكفر قلبها إنس ولا جان، نظر إليها بدهشة صافية، كان في روحها شيء ما لا ينطبق على روحه، كأنما خلقت من صخر الجبل.

\*\*\*\*\*

«أغواها الشيطان، أم أغوتها نفسها؟».

\*\*\*\*\*

في ظلمة الليل وقفت ليليث على جانب من نهر عدن تحت نور باهت للقمر، وأفكار تتقاذف قلبها الساخط، كان آدم لطيفًا معها، لكنه مثلهم.. لماذا لا يوجد أحد مثلها؟ أطرقت برأسها تنظر إلى صورتها المنعكسة في الماء، وجهٌ فاتن يتموج مع تموج الماء، لكن شيئًا جعل عيونها تنبض خوفًا؛ حُيِّلَ إليها أن وجهًا آخر يظهر في الانعكاس، وجهًا قبيحًا. أخذت تقرب وجهها وتغمض عينيها وتفتحهما، ثم نفضت هذه الخيالات وتقدمت بقدمها الحافية لتنزل في النهر، وبغته انقبض قلبها، فعلى صفحة الماء برز ظل آتٍ من خلفها كأن أحدًا يقف خلفها، نظرت وراءها في رعب فلم ترَ كائنًا، إلا أنها لمحت الحيوانات تهرب

من مواضعها وتختبئ والطيور تبتعد في زعر، نظرت ليليث حولها في خوف ثم استدارت ببطء تنظر إلى النهر فلم تجد أثرًا للظل، وقبل أن تفكر ليليث جاءها من خلفها همس خافت تصلبت له روحها، رفيع قميء ذو بحة كريهة:

- الماء أفسد بصرك يا بشرية وسيفسد رداءك، فاخلعيه وانزلي عارية.

بطرف عينها الغاضبة نظرت خلفها، فوجدته واقفًا يحدق إليها وكل شيء فيه ينطق بالغرابة، رجل عجوز كسيح، أكثر أسنانه ليست في فمه، تخرج من ذقنه شعرات معدودة مجمدة طويلة، يرتدي عباءة سوداء ممزقة من هنا وهناك. قالت ليليث بلسان حاد:

- ما.. أنت؟

أمال رأسه إلى اليسار وهو يحدق إلى عينها ويقول:

- أنا الحارث.

صاحت فيه:

- هل أنت من تلك المساكن الملونة في البحر؟

اقترب منها ببطء وقال لها بصوته الذي يشابه الفحيح:

- تلك مساكن قومي، لكنني سهوت عنهم منذ أيام وبقيت أتبعك من بعيد.

قالت له بحذر:

- لماذا تتبعني؟

قال وهو يميل رقبتة إلى اليسار:

- أنت أكثر حكمة منه وعقلًا، في الحقيقة أنت أذكى وأجمل مخلوق رأته عيناى على هذه الأرض وكل أرض.

ثم ظهرت على وجهه ملامح الندم الزائف وهو ينظر إلى جسدها ويقول:

- هذا الجسد الجميل يجب ألا يعيش في الغابات ويتخذ من جذوع الأشجار سكناً، أمثالك من الفاتنات عندنا أميرات.

قالت ليليث وقد بدأت تتمالك نفسها:

- مَنْ أنتم؟

أشار بظفره إلى تلك المدائن التي يلفها الضباب في البحر، قال لها:

- أرضنا أعظم من أرضكم الخاوية التي ليس فيها سوى اثنين، أما نحن فكثير.

شعرت بشيء من البهجة في نفسها.. لكنها أخفتها وقالت:

- خذني إلى مساكنكم.

ابتسم بأسنانه البشعة واستدار يمشي، فتحركت وراءه وهو يقول لها:

- لا يمكننا إدخالك عبر البحر، فتعالى من ناحية جبال أكروزيان الحمراء.

ومشت الإنسية وراء الحارث وسمعت من ورائها منادياً يقول:

- ليليث!

كان ذاك هو الملاك الطيب سامنجلوف يقول لها:

- لا تتبعيه يا ليليثو، هذا شيطان.

رمقته بطرف عينها ثم أشاحت بوجهها عنه وسارت مع الشيطان، ولم تدر مع أي شيطان كانت تسير، وأي خطأ ترتكبه، فذلك الذي سحبها وراءه لم يكن شيطاناً عادياً.

\*\*\*\*\*

«بالسلام خلقت والسلام عنك بعيد».

\*\*\*\*\*

في ممر مظلم داخل جبال أكروزيان كانت ليليث تسير وراء الشيطان، ولا تدري لِمَ تذكرت آدم في هذه اللحظة، لماذا تفكر الآن في أنه كان وديعاً جداً؟ ما الذي جعلها تتبع هذا الشيء لهذا المكان؟ وفجأة توقف الشيطان.



كانت هيئته في الظلام تبدو أكثر طولاً وقوة، وببطء استدار لها وأنزل العباءة عن رأسه. فُجِع قلب ليليث وتراجعت للوراء فطرياً وهي ترى قامته الطويلة وشعره الأسود الطويل النازل على جانبي وجهه الحاد المخيف الذي يماثل لوئله ذرّ الرماد، ظهر التوتر على عينيها وقالت بحدة:

- من أنت؟

حذق إليها بنظرته تلك التي يُنزل فيها رأسه قليلاً ويرفع عينيه كأنه سيخترق روحك ذاتها، وقال:

- عيناك لا ترجفان خوفاً يا بشرية، وروحك ثائرة كأنها أفعى، أنا لوسيفر، خازن هذه الأرض وما حولها.

ذهلت عيونها وسكتت رهبة ومشّت وراءه حتى خرجا إلى مساكن سوداء مبنية كأن البحر هو أساسها وليس الأرض، تتحرك مع تحرك الموج، وهناك رأت حيوانات ذات عنق طويل تمضي في الماء وقبأباً حمراء كقباب القصور. مضى بها الشيطان حتى دخلا مدينة الجن، كل شيء كان مبنياً بأحجار كبيرة والأرض مرصوفة قطعاً قطعاً بشيء كالرخام، ووسط كل هذا برزت من بين الظلائم عيون سود تشرق في تحفز، ثم تكاثرت العيون حتى ظهر أصحابها، صنوف من الجن بأنواعهم تجمهروا حولها، وقال قائل منهم:

- يا أبانا.. ما هذه؟

نظر إليها إبليس في احتقار لم تره ليليث وقال:

- هذه صاحبة ذلك البشري، الخليفة الذي جعله الله في الأرض، وجدتها كفرت ولم يمتض على خلقها شهر.

رأت ليليث الجميع ينظر إليها نظرات لم ترتح لها، وتجراً أحد حديثي السن وصاح:

- كافرة.. كافرة.

ردد وراءه بعض صغار الجن المتجمهرين، كافرة.. كافرة.. كافرة.



\*\*\*\*\*

«يزخر جوف الأرض بجماجم الذين اتبعوا الشيطان  
وظنوا أنه على حق».

\*\*\*\*\*

لا يمكنك أن تزجج ليليث وتبقى بخير. فجأة هبَّت ليليث إلى ذلك  
الجنّي الهائِئ في غفلة منه مندفعة ومدت يدها إلى عنقه بقسوة، ثم  
اتسعت عيناها بدهشة ويدها تمر منه كأنه من ذرات الجو، فتراجعت  
خوفًا وعلا تضاحك الشياطين حولها. وفجأة صمت الجميع. التفت  
الجن وراءهم وتباعدوا في رهبة لتظهر من ورائهم امرأة تقترب في  
هيبة، نظرت إليها ليليث وقد أيقنت أنه قد قُضي عليها، وجه رمادي  
وكحل ثقيل في العين وجدائل بيضاء وسوداء تُزين شعرها، كانت تلك  
«واضية»، زوجة لوسيفر الأولى، قالت بصوت رصين:

- ألم يخبرك ملاكك يا بشرية أن الجن لا يؤذيهم أمثالك؟

لم تردّ ليليث وظلت تنظر في كراهية، ثم قالت واضية:

- أنتِ هنا يا بشرية بأمر الشيطان، فلا أذى يطالك عندنا ما دامت  
روحك له مأسورة.

مشّت ليليث بجوار واضية وهي تنظر حولها إلى الجن الذين يسير  
الواحد منهم وبصره ينظر إليها نظرة الذي يشتهي أن ينفرد بك. قالت  
لها واضية:

- أكافرة أنتِ بالله؟

ردت ليليث بحزم:

- لا أؤمن إلا بما تراه عيني.

- عليك ألا تثقي بهذه العين، فأنت تريننا نحن الجن لأن روحك  
صافية في أول خلقك، لكن ما دام لديك هذا الجسد فسيأخذك

إلى شهواته وتثقل روحك عن رؤيتنا وتكونين مثل كل الحيوانات  
المادية التي رأيتها في الغابة، عمياء عن رؤية الجن والأرواح.  
وفي موضع غير بعيد كان لوسيفر ينظر بعينيه الساهمتين إلى  
ليليث، فجاءه صوت من أسفل منه يحدثه ويقول:

- ماذا ترى هذه المرأة فاعلة إذا عرفت الحقيقة؟  
وضع لوسيفر ظفره الطويل الوحيد أمام شفتيه وهو يقول في تودة:  
- ستحرق كل شيء.

سكت محدثه طويلاً، فنظر لوسيفر أسفله وهو يقول له:  
- أظننها تفعل هذا وهي بيننا؟  
لكنه لم يجد محدثه الذي بدا وكأنه غاب في جحور الأرض.

\*\*\*\*\*

«سموم أفاعي الجن تُميت الأرواح».

\*\*\*\*\*

أيام تجري تتبعها الليالي بظلمتها، وعيون ليليث ترقب كل شيء،  
وكل شيء في تلك الأرض يُرهب القلوب، أولئك قوم لا يخرجون إلا في  
الليل، فإذا أتى النهار فعلاقتهم بالظل عجيبة كأنهم يحيون به أو فيه،  
وكانوا يسمون أرضهم السوداء أرض ديجور. وفي ذلك المساء ومن بين  
الظلال شق أرض ديجور كيان بلا ظل، كلما سمع أحد من الجن صوته  
دخل بيته وأغلق عليه بابه، كأن كل الكيانات خلقت من ماء وهذا وحده  
خُلق من سُم، كلما نفث كلماته في أرض انقلب أهلها من بعد سلامهم  
فُجَّارًا ومن بعد إيمانهم كُفَّارًا، وفي تلك الليالي الأولى من تاريخ الزمان..  
كان ذلك الكيان متوجهًا إلى نقطة واحدة، ليليث.

بداخل برج يتشح بالسواد، كانت ليليث تنام ونافذة البرج غير بعيدة  
عنها، تُظهر اكتمال قرص القمر وحوله قطع من سحب رمادي، فبرز

من وسط الصمت صوته، كأنه صوت الحية ذات الجرس، دخل من النافذة وتحرك ناحية جسدها النائم، قرَّب وجهه من أذنها وعنقها كأنه يتشمَّمها، أصدرت بوجهها تعبيرًا منزعًا، وفجأة وبلا مقدمات نهضت من رقادها كأن الشيطان قد مسَّها، سمعت عند قيامها صوت طائر أسود يفرُّ من النافذة، دق قلبها في فزع، لم يكن صوت الطائر هو المُفزع.. بل ذلك الصوت الآخر المنبعث من جوار النافذة، كأنه صوت حية.

قامت تخطو ببطء إلى ناحية النافذة ودقات قلبها تعلو، كانت عيونها تميز شيئًا في الركن بجوار النافذة، أو شخصًا يخفيه الظلام، وقبل أن تخطو خطوة أخرى أتاها صوته من بين الظلمة:

- ألم تشتاقني إلى غابة البوم؟

صوت أنثوي ناعم عميق ينفذ إلى الروح، بدأ صاحب الكيان يتقدم حتى انعكس عليه ضوء النافذة الخافت فرأت وجهه، وإن مظهره أشد غرابة من صوته، وجه ليست فيه أي ملامح أنثوية، وفي الوقت ذاته ليست فيه شعرة واحدة في الوجه أو الرأس، يضع عباءة تغطي جسده ومعظم رأسه، لا تدري أَذْكَر هو أم أنثى، قالت ليليث:

- من أنت؟

قال لها ووجهه الأصلح يبرز من تحت الرداء:

- يدعونني سيربنت.

وقبل أن تتساءل وتفهم، قال لها القولة التي صرعتها:

- كنت أظن أنك أجمل الوجوه.. حتى رأيْتُها معه.

- مه!

- صاحبكِ، رأته عيني وهو يسير ومعه امرأة أذكى منك وأجمل.

- آدم!

- اليوم منحه ربه معها حق الدخول إلى الجنة العظيمة «جان أكويلو»، أما أنتِ فتركوك هاهنا تهيمين بين جن وشيطان. ولم تمضِ ساعة واحدة، حتى كانت ليليث خارجة من أرض ديجور، تركت قصور الشياطين وانطلقت وليس في قلبها إلا النيران.

\*\*\*\*\*

«الغيرة قتلت الحية».

\*\*\*\*\*

كان نائمًا وروحه تسير في سباحات من نور، ثم رأى رؤيا غريبة. «امرأة في كامل زينتها ترقص وحولها كثير من الرجال ينظرون إليها، كانت تشبه ليليث، وبين الرجال كان ملك البلاد المهيب ينظر إلى رقصها في شهوة، وهي تنظر له بغنج في أثناء رقصها». كان ذاك حلم آدم الذي فتح عيونه ببطء وهو مستلقٍ على أرض عدن، وما إن فتح عينيه المتعبتين حتى تراءت له صورة مموهة لامرأة ذات شعر أسود، ولم تلبث الصورة أن اتضحت وظهرت أمامه عذراء صبوحة ذات رمش جميل وعينين وضّاءتين سوداوين، سمراء البشرة إذا نظرت إليك أضاءت روحك، حسناء لها شعر ناعم متموج يصل إلى كتفها، تنظر إليه ببراءة طفلة، عرفها فور أن رآها، لأن رازئيل أنبأه عنها.. حواء، ابتسم ثغره وفؤاده لها، وقال:

- أنتِ حواء؟

نظرت إليه ببراءة وقالت:

- ولماذا أنا حواء؟

- لأنكِ سمراء، وفي روحك حياة.

ثم بدا أنه تذكر شيئاً مُقلقاً، فسألها في حذر:

- من أين أتيت؟

قالت له ببساطة:

- منك.

اطمأن قلبه وقال لها:

- أنتِ مني وأنا سَكَنَك، وحيثما تكوني أكن، وإذا تناثرت أجزاء روحي تجمعينني، وعندما تجمعينني فأنتِ تجمعين نفسك.

فضحكت لقلبه، كانت حواء حنون دافئة الروح، نظرتها سحر وكلامها سَكَن، فسأل ربه أن تكون له رفيقة، فكتبها الله له زوجة، وعلمها آدم عن الله مما علمه الله، وفي ذلك اليوم تحت جبل ماتاريمون الأخضر العظيم، جاءهما الملاك الجليل رازئيل وقال:

- لأن ربكما رأى كل ما تعملانه أنه حسن، فالיום برحمة من ربك يا آدم، أسكنكما ربكما جنة أرض أكويلو.

وأشار إلى ربوة مرتفعة عليها أشجار باهرة المنظر، فرح قلب آدم وحواء بمجرد مرآها من بعيد، وامثثلا لأمر ربهما ومشيا ويده لا تفارق يدها إلى تلك الجنة. في هذه اللحظة أحسَّ رازئيل بشيء في الخلف، فاستدار ناظرًا، فرأى لوسيفر واقفًا ينظر إليهم نظرة جامدة، قال رازئيل لآدم وهو يشير إلى لوسيفر:

- يا آدم انظر إلى ذاك صاحب الرداء الأسود، ذاك من الجن الذين أريتكَ مساكنهم، ولقد اتخذكَ عدوًّا أنتِ وزوجك، فاتخذاه عدوًّا، وتنبَّها ألا يخرجنكما من هذه الجنة فتشقى يا آدم.

نظر آدم نظرة طويلة إلى لوسيفر وكذلك حواء، ثم انصرف نظرهما عنه إلى الجنة ومشيا مع رازئيل الذي قال:

- يا آدم.. إن جان أكويلو جنة مقدسة في أرض عدن، نصلي فيها لربنا ونُسَبِّحه، وفيها من الجن كثير، ولا يجوز فيها ذنب؛ أيُّ ذنب، وإنه لا جوع فيها ولا ظمأ، ولا حرَّ فيها ولا مشقة.

مشى آدم وحواء إلى أعلى الربوة الزاهرة البديعة حتى أتيا مشهداً أوقفهما مكانهما من بهائه. ساحة واسعة مجيدة يتوسطها نهر النيل الذي يجري في هدوء، ووسطه ممر طويل يصل إلى مدخل لم يُرَ على الأرض في كل العصور مدخل يماثل عظمته، صرحان عاليان مبنيان من قوالب كالمرمر بيضاء، يقف الصرحان كعمودين جليلين وسط النهر الواسع، ويظهر خلفهما الأفق والسحاب، هبَّت على آدم وحواء نسائم الجنة برائحة المسك، ومشى الزوجان على الممر حتى أشرفا على مدخل الجنة، فإذا عليها ملائكة حسان الوجوه والثياب يُحيّونهما بتحية الله.

دخل آدم وحواء وهما ينظران حولهما، الجبال مزهرة والأرض، والمياه جارية، والنسيم رقيق يداعب الوجوه، ومن وسط ذلك الجمال أتاهاما أفزعهما.

ملاكٌ انتَّش برداء أسود يظلم على وجهه فلا تظهر ملامحه، ملاك ليس على ظهر الأرض إنسان إلا سيرى وجهه عياناً بياناً عند موته، ملك الموت، قال لهما:

- آدم وإيفا، كل ذنوب الإنس والجان التي تعلمانها لا تدخل هاهنا، وكل شجر الجنة تأكلان منه كيف شئتما إلا تلك الشجرة هناك، لا تقرباها.

نظر آدم وحواء برهبة إلى الشجرة التي يشير إليها، كانت شجرة خضراء كبيرة تتناثر فيها ثمار صفراء مشقوقة يظهر منها لب أحمر كالدّم كأنه عيون حمر تنظر في ثقة مخيفة وكأنها تعلم ما سيكون.

\*\*\*\*\*

«ليست الأشياء في ذاتها ملعونة،

بل نحن من يصنع لعناتنا».

\*\*\*\*\*



هُرعت ليليث والنار في قلبها تكاد تُشعل الأرض، كانت تمشي جوار  
نهر عدن متوجهة إلى الجبل الذي ينزل منه النهر، جبل ماتاريمون  
الأخضر الذي تقع جنة «جان أكويلو» أعلاه. لكن لم تكن صخور ذلك  
الجبل قابلة للتسلق بأي حال، دارت حوله من كل موضع حتى أوشكت  
أنفاسها على الانقطاع. وعند سفح الجبل، رأتها واقفاً ينظر إليها بعينه  
التي تلتهم مَنْ أمامه، لوسيفر بكامل حقه، قال وهو ينظر أعلى الجبل:  
- تلك الجنة ثمرها ليس مثله ثمر، وملائكة تطوف بكل مكان تبحث  
عن رضى ساكنيها.

صاحت ليليث:

- خذني إليها كما أخذتني إلى أرضكم السوداء.

- لن يمكنك دخولها، فهي ليست لكل أحد.

نظرت ليليث له بانزعاج فسكت قليلاً، ثم قال لها ببحة ثعبان:

- إلا بطريقة واحدة.

قالت بسرعة:

- ما هي؟

- أن تُخرجني منها أحداً حتى يمكنك أن تدخلني مكانه.

ثارت النار في روحها، فقال لها:

- لو أخرجت تلك المرأة الجميلة السمراء، سيخلو لك وجه صاحبك  
وتأخذين مكانها.

تغيرت ملامحها إلى الحدة وهي تقول:

- بل سأخرجهما معاً.

لمعت عينه جذلاً وإعجاباً وهو يقول:

- يمكنك عمل ما هو أشد، شيء سيموتان بسببه كل يوم حتى تنتهي حياتهما، أما أنتِ فستعودين كالأميرة إلى قصرِك في أرض ديجور.

- وكيف أخرجهما؟

رمى إليها شيئاً صغيراً جداً فالتقطته بتلقائية وهو يقول لها:  
- بهذه.

نظرت إلى الشيء الذي رماه، كانت ثمرة صغيرة، صفراء اللون ربما بحجم ظُفرها، رفعت عينيها له متسائلة! أخبرها الشيطان ماذا تفعل وكيف تدخل إلى الجنة، وتحولت النار التي بداخلها إلى طاقة في أطرافها وصرامة في عينيها الجميلتين، وعقدت العزم على التحرك.  
- سأكون بانتظارك هناك.

قالت له والدهشة تغمرها:

- أيمكنك الدخول أنت؟

- أنا خازن هذه الأرض كلها، لكن لا يمكنني إدخالك معي، سأعينك فقط على إخراجهما.

مشت ليليث بمحاذاة سفح الجبل ودقات قلبها تتسارع كلما توغلت في الطريق الذي وصفه لها لوسيفر، طريق الشيطان.

\*\*\*\*\*

«جنة في الأرض وجنة في السماء، وجنة بينهما».

\*\*\*\*\*

مضت ليليث في طريق وَعِرة تُبعد أغصان الأشجار المتكاثفة وأنفاسها تتلاحق، ووراءها يكمن لوسيفر، يراقبها دون أن تدري، حتى اقتربت من المكان الذي وصفه الشيطان، عرفت هذا لما رأت أمامها شجراً كثيفاً قصيراً ملتفّاً حول بعضه يسد الطريق، انحنّت وحاولت

المرور.. لكن بلا فائدة، انقطع جزء من رداؤها عند الساعد، فتوقفت قليلاً ثم نزلت على بطنها وزحفت من تحت الدغل، كان لوسيفر ينظر إليها وجسدها الرشيق يتلوى عبر الدغل وابتسم هازئاً، بدت في عينه كأنها حية تسعى إلى فريستها، ولم ينس تلك الصورة أبداً. كان يمكنها أن تدخل إلى الجنة إذا دعاها هو، لأنه خازن الجنة، ولكنه كذب عليها لغرض في نفسه، كان يحب أن يرى دُلَّ الإنسان وسعيه لأجل الشرور.

قامت ليليث تنفض رداءها مما علق به من أغصان، ونظرت أمامها فأصابها الذهول للحظات، فجأة أصبحت داخل الجنة، هكذا بلا مقدمات، أرض مفروشة بالزهر الأبيض المنتشر على بسيطة خضراء، نسائم عطرة وزهور بنفسجية وقرمزية متطايرة في الهواء كأنها زينة الجو، ونهر النيل الأزرق يجري وسط كل هذا ليصب بشلال هادئ في ثلاثة أنهار متدفقة، سيحان وجيحان والفرات، شجر بديع، وثمار وأرض ممهدة للسائرين، رأت كل هذا فلم تتمالك نفسها، ضحكت ورفعت يدها تتلمس الأوراق الملونة المتناثرة وتتنفس أريج الجنة، وقررت ليليث أن تبقى هاهنا وتطرد كل من سواها. خطت بضع خطوات ثم انتبهت إلى شيء في السماء.. بل أشياء، وارتجف كيانه، رأت ملائكة عظام الهيئة يسدّون أفق السماء، سائرين في كل موضع فيها، تسمع صوتهم في ترنيمة واحدة تُقدس الله: «قدوس، قدوس، قدوس...». مشت رافعة كتفها في خوف، أدهشها أكثر أنها وجدت بعض الجن هنا وهناك يُصلّون ويُسبّحون، ثم تذكرت حديث لوسيفر وأخرجت الثمرة الصغيرة تنظر إليها، ومشّت تبحث عن شخص واحد.. حواء. ولم يطل بحثها كثيراً حتى وجدتھا.

\*\*\*\*\*

«إذا التقت الغريمتان، جلس الشيطان يتعلم».

\*\*\*\*\*

وحدها كانت حواء في أرض من الورد تنحني لتطعم بيدها سِرْبًا من طيور الفيل السوداء وطيور الموا البنية، حتى برزت أمامها فجأة ليليث بشعرها البرتقالي المميز ونظرتها الثائرة، فزعت منها حواء فزعًا شديدًا؛ فلم تكن قد رأت امرأة غيرها من قبل، نظرت إليها ليليث نظرة نافذة من أعلاها إلى أسفلها، كانت تتفحص المرأة التي فضلها آدم ورب آدم عليها، سمراء حسناء دافئة بعيون بُنية وشعر جذاب، قالت لها ليليث بشبح ابتسامة:

- هل أنتِ حواء؟
- أومات حواء برأسها إيجابًا وقالت لها بخوف:
- أَبْشَرِيه أَنْتِ مِثْلِي؟
- أَتَظْنِينَ نَفْسَكَ الْوَحِيدَةَ فِي الْأَرْضِ؟
- لمعت عين حواء وهي تقول:
- أَتُكُونِينَ أَنْتِ تِلْكَ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَحَدِثُ آدَمَ عَنْهَا؟
- قالت ليليث وهي تربط على غضبها:
- أَدْخِلْنِي رَبِّي هُنَا كَمَا أَدْخَلَكَ، فَأَنَا هُنَا قَبْلَكَ بِزَمَنٍ.
- ردت حواء بدهشة:
- وَلَكِنْ كَيْفَ؟ أَنْتِ كَافِرَةٌ.
- قال ليليث بسرعة:
- هَكَذَا قَالَ لَكَ صَاحِبُكَ، لِيَبْعِدَ تَفْكِيرَكَ عَنِّي، أَخْبِرْنِي، مَاذَا تَفْعَلِينَ هُنَا؟
- أَمَرْنَا اللَّهَ أَنْ نَعْتَنِيَ بِكُلِّ دَوَابِّ الْجَنَّةِ، فَأَعْطَى آدَمَ شَرْقَ أَكْوِيلُو، وَأَعْطَانِي هَذِهِ الْأَرْضَ.
- قالت لها ليليث بابتسامة مصطنعة:
- كَيْفَ وَجَدْتِ طَعْمَ ثَمَارِ الْجَنَّةِ؟ هَلْ أَعْجَبَتْكَ؟

قالت حواء ببراءتها الجميلة:

- حلوة المذاق تعيننا على التسبيح، نأكل من كل شجرة ما عدا واحدة محرمة علينا.

ثبتت ليليث نظرها على حواء وأخرجت يدها مليئة حتى آخرها بتلك الثمرة الصفراء التي أعطاها إياها لوسيفر، وقالت:

- تقصدين هذه؟

نظرت حواء بقلق إلى يد ليليث ورأت الثمار الصفراء التي حرّمها الله عليها، فجذعت وتراجعت، فقالت ليليث:

- أتعلمين؟ إن هذه هي طعامي المفضل من بين الثمار جميعاً، دُقتُها فانفتحت عيناها هاتان وأصبحتُ أرى أموراً لم أكن أراها.

دهشت حواء وقالت:

- وماذا فعل بك ربك؟

- لم يفعل شيئاً، أنتِ حقاً لا تعرفين، لو دُقتِ منها ستكونين خالدة كالملائكة، لا يشيخ جلدك ولا يذهب جمالك.

مدّت ليليث يدها إلى حواء بثمار الشجرة المحرمة، كانت تلك الثمرة هي جوزة الطيب، صفراء مخيفة المنظر تُسكر العقل، حرّمها الله على الإنسان لأنها تُذهب العقل، نظرت حواء بقلق للثمار وقالت:

- لا أستطيع، أنا خائفة.

ظلت يد ليليث ممتدة بالثمار تُشجّع حواء، حتى مدّت حواء يدها وفي رأسها عشرات المخاوف، ولما وصلت يدها إلى الثمار، سحبت ليليث يدها بعيداً، فنظرت لها حواء في دهشة، فقالت ليليث:

- ما أدراني أنكِ لمّا تأكلين من هذه الثمار وتصيرين كالملائكة يصيبك الغرور، وتمنعين منها خليلك آدم وتستأثرين بها لنفسك؟

- والله إن لم يكن على الأرض ثمر غيرها لآثرت بها على نفسي.

نظرت إليها ليليث في غيرة لم تنجح رموشها الحمراء في أن تخفيها، ثم مدّت لها يدها بالثمار مرة أخرى، أخذت حواء الثمار لكن شيئاً داخلها منعها أن تأكل، فقالت حواء:

- لعلك تكذبين، لن أكل منها حتى تأكلي أنتِ أولاً.

بُهِتَت ليليث للحظات، فهي لم تأكل من هذه الثمار لأن لوسيفر حذرهما أن تأكلها داخل الجنة، لكنها حرصت ألا يظهر شيء من هذا على ملامحها، وقربت الثمار من فمها وقلبها يرتعد، لم يعد أمامها من سبيل، أكلت ليليث بعض الثمار، طعمها كريه، لكنها قاومت امتعاضها وبقي وجهها جامداً، وحواء ترقبها، ثم قالت ليليث:

- هيا يا سمراء خذيها، كيف تعتقدين أنني ما زلت أسكن جنة المقربين وها أنا أكلها أمامك؟

- لن أفعل هذا إلا بعد أن أخبر آدم أولاً.

واستدارت حواء وغادرت المكان متّجهة إلى آدم، وظلت ليليث واقفة لا تتكلم والحنق يجتاحها، كان تأثير جوزة الطيب المُسكر قد بدأ، شعرت أن عقلها يدور ببطء وتوازنها يختل وكل شيء حولها صار أبطأ، الطيور والحيوانات، كل شيء لا يكاد يتحرك، لم يكن هذا كل شيء.. بل شعرت بداخلها أن شيئاً ما كان كامناً ثم انفجر، شيء لا تدري ما هو، لكنه يشعلها بغريزة غريبة، فإن جوزة الطيب إلى جانب أنها تُسكر، فهي تثير الرغبة الجنسية التي كانت كامنة في المرأة الأولى، والآن تفجرت.

\*\*\*\*\*

«الشیطان لا يكذب، إنما يخلط الحق بالباطل».

\*\*\*\*\*

في مروج أكويلو كان آدم يرعى طيور الراتيت الصغيرة، ثم توقف فجأة لما رأى لوسيفر يقترب منه ببطء، قرب الشيطان رأسه منه وقال بلا مقدمات:

- شجرة واحدة من يأكل ثمرها ينعم بالخلود ولا يذوق الموت أبدًا.  
نظر إليه آدم بحذر ثم أكمل ما كان يفعله مع الطيور وقال:  
- انصرف عني فلا يعنيني الخلود، لقد أنبأني ربي بعمرى وعمر  
ذريتى.

نظر الشيطان إلى الأرض وقال:

- لقد كنتُ مثلك يومًا ما يا آدم، ولمّا رزقني الله ذرية، كفر كثير  
منهم، رغم كل مواعظي، ولولا أن عمري طويل ما استطعتُ أن  
أصلح أمرهم في الأرض.

قال آدم بحسم:

- تلك ذريتك، أما ذريتى فأنبأني ربي أن أكثرهم لا يفسدون في  
الأرض.

شعر الشيطان بنار أخفاها وهو يقول:

- أما أنا فصبرت وأصلحت من فسد من ذريتى جميعاً؛ فأكرمني الله  
وأدخلني إلى الملاء الأعلى، وأنت لا تدري كم هو جمال ذلك البيت  
المعمور الذي هناك.

أطرق آدم برأسه ولم يرد.. فضيق الشيطان عينيه وهو يقول:

- أنت إذا نلت الخلود يا آدم، ستنال عمراً طويلاً، وبدل أن تعبد الله  
ألف سنة ستعبده آلافاً، وكلما عبده تقترب من نوره أكثر، وأعظم  
الخلق هو من ينال نوراً أكبر.

نظر إليه آدم وقد أثرت فيه هذه الكلمة الأخيرة لحبه الله تعالى  
وحرصه على القرب منه، وهنا ظهرت حواء آتية وهي تنظر إلى الشيطان  
بريبة، ثم اقتربت من آدم وهمست في أذنه بشيء، عرف الشيطان أنها  
تهمس له بأمر الشجرة، فقال لهما وهو يتهيأ للمغادرة:

- يا بشريان، أقسمتُ لكما إنني ناصح، ولا أقسم به كاذبًا، ونحن في هذه الجنة المقدسة وإلا يخسف بي ربي، ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تنالا الخلود أو تكونا ملائكة.

\*\*\*\*\*

«الجنة تصير نارًا تحرق روحك إذا غضب عليك الرب».

\*\*\*\*\*

وقفت أمامهما الشجرة المحرمة تزينها كلمات الشيطان بثمارها المشقوقة الصفراء التي تبدو كعيون ساخرة.. ظلا ينظران إليها في ارتياب، وحواء تتعلق بذراع آدم وتقول له:

- يا آدم، هل سنأكل منها حقًا؟

نظر إلى الأرض ولم يرد، ثم نظر إلى الشجرة في قلق، وفي غفلة منهما، ظهر من خلف الشجرة آخر من يتوقعه آدم في تلك اللحظة، ليليث، شيطانة بني الإنسان، فجزع لرؤيتها والتهب عقله بالظنون، فقالت له حواء:

- يا آدم إنني رأيت هذه المرأة تأكل من الشجرة.

قالت له ليليث بصوت خافت:

- لقد صرت أعلى منك عند ربي يا آدم فقط بسبب هذه الشجرة، الملائكة تحسدك ولا تريد لك القرب من ربك.

وضعت ليليث الثمار في فمها وأكلت وهي تنظر إليه، أحسَّ أن طبعها الحاد قد تغير فأشعره هذا بمزيد من الاطمئنان، فشدَّ آدم على يد حواء وقال لها:

- نعم سنفعل يا حواء، عسى أن نكون من المقربين.



\*\*\*\*\*

«ثمرة صفراء من جنة خضراء صبغت الأرض بلون الدم».

\*\*\*\*\*

مد آدم يداً مرتجفة إلى الثمار فالتقط بعضها وأعطى حواء، ثم قرَّب  
الثمرة من فمه في تردد، كان شيء ما يمنعه وشيء آخر يدفعه، وحواء  
بجواره تفتح شفتيها ثم تغلقهما في خوف، بقيا ينظران إلى بعضهما  
وعيونهما تبرق بالفضول والخوف، حتى إذا وضعا الثمار في فميهما  
ارتعدا وهما ينظران إلى بعضهما في تقزز من مذاقها، وانحنى حواء  
لتبصق هذه المرارة من فمها، ولم تمض دقائق إلا وبدأت الدنيا تدور،  
وسمع آدم صوت حواء غريباً متثاقلاً وهي تقول شيئاً ما ثم تهوي على  
الأرض من المرارة، وجثا آدم على ركبتيه وبدأ يغيب عن الوعي ثم سقط  
على وجهه، وكان آخر ما رآه هو اقتراب أقدام الشيطان.

لم يكن إبليس ينظر إليهما شامتاً، بل كانت نظرة كراهية وحقد،  
وليليث بجواره تنظر إليه متعجبة في سُكرها، رأتَه يمد يده وينزع  
ملابس آدم ببطء، تسارعت ضربات قلب ليليث وهي تنظر إلى ما يفعله  
الشيطان الذي عرّى آدم تماماً عن ملابسه، ثم نزع عن حواء رداءها،  
وتركهما ملقيين على الأرض، وأخذ ملابسهما بعيداً. كانت ليليث تنظر  
إلى إبليس ثم تنظر إلى آدم وكثير من المشاعر المتضاربة تجتاح قلبها،  
شيء ما أصبح يُقربها من آدم وتشعر أنها مشفقة عليه، أو ربما هي  
تريده بقربها.

ومن بين جنبات الصمت والعري والخزي، سمع الجميع بوقاً عالياً  
صمّ أذان الكل، فتح آدم عينه وشيء ما يضرب في دماغه بلا هوادة،  
وأفاق حواء أسرع منه وتفتحت عيونها فرأت الكارثة، رأت نفسها دون  
ردائها، ورأت آدم كذلك، ففجع قلبها وقامت تهرع إلى أقرب شجرة  
بالجوار، وطفقت تنزع أوراقها الكبيرة وتضعها على جسدها، وأفاق

آدم بعدها وشهق شهقة الفزع والأسى، وهرب إلى ناحية الشجرة يضع الأوراق على جسده هو الآخر، وسمعا البوق يضرب أنحاء الجنة مرة أخرى، ونزلت ملائكة العذاب.

\*\*\*\*\*

«أخطاء الآباء يدفع ثمنها الأبناء».

\*\*\*\*\*

تحرك إبليس مبتعدًا بقلق عن المكان لما سمع البوق، وليليث تتبعه، كان يقول لنفسه أنه لم يقترب معصية يمكن أن تخرجه من الجنة، إنه يعرف أن ليس عليه أمر أو نهى إلا ما أمره الله به صراحة، وما فعله مع آدم لم يكن كذلك، توقف إبليس مكانه فجأة وتسمّرت قدماه وأصابته رجفة ونظر إلى الأعلى، كان ربه يكلمه قُبلاً من أمامه وهو لا يراه، وهكذا كان يتكلم الله مع أول خلقه من أي جنس، رحمة به، وكان إبليس أول خلقه من الجن، قال له ربه:

- ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيٍّ أَتَكْبَرُ؟ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ؟﴾

لم يتوقع إبليس ذلك السؤال في هذا الوقت، فقد مرَّ على قصة السجود تلك زمن، أيعاتبه الآن؟! رد إبليس وكل ذرة فيه ترتعد بين خوف وغرور:

- لم أكن لأسجد لبشر خلقته من طين الأرض.

ورفع رأسه للسماء يملؤه الكبر والجبن وقال:

- أنا خير منه خلقتني من نار سامية وخلقته من طين مهين.

فأثاه أمر ربه الذي لم يكن في حسبانته:

- ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

بجوار لوسيفر وقفت ليليث تنظر إليه في دهشة وحنق وقد سمعت كلامه مع ربه، ورغم أنها لم تسمع كلام ربه له، فإنها فهمت، لقد كان لوسيفر يخدعها، إنه مثلم، يؤمن بوجود الرب، ولم يمهلهما الوقت حتى تغضب غضبها؛ إذ أتت ملائكة العذاب وأمسكوا بها من رقبتهما وهي تنظر إلى مشهد أدهش كيانهما. لوسيفر صاحب المظهر المهيّب فجأة تخشّب وانضمت قدماه لبعضهما وتمزق رداؤه الأسود عن صدره فظهر جسده النحيل المشدود وعليه أثر كأنه ضربة سيف قديمة تقطع صدره من أعلاه إلى أسفله، لم يكن هذا ما أدهشها، ولكن عندما تمزق الرداء ظهرت أجنحة لوسيفر، ثلاثة أجنحة عن اليمين وعن الشمال كأجمل ما تكون الأجنحة، ولكن وجه لوسيفر كان يتبدل من طابع المهابة العام إلى طابع الألم، وفجأة صرخ، وبدأت أجنحته وكأنها تتقصف وتنقسم دون أن يمسه أحد، كانت تتهشم محدثة صوتاً أشبه بكسر العظام، سالت الدماء من فم لوسيفر وصرخ صرخة قيل إن جميع أهل السماوات قد سمعوها.

وجثا لوسيفر على ركبتيه وبدأت تظهر وراءه كأمثال الذرات التي تتكون حتى برز خلفه من العدم ملاكان، هاروت وماروت، أمسكا به في قسوة، وهو مُنكسر رأسه ولا يصدق أن هذا يحدث معه بعد ألفين من السنين قضاهاً ناسكاً بين السماء والأرض والأرض، نسي لوسيفر أن الكبر ذنب وأن تتكبر في الجنة يعني أن تُطرد. وعند أقدام آدم وحواء المرتعدة نزل الملاك جبرائيل ومشى نحوهما وهو ينظر إليهما بغير شفقة، واقتادهما أمامه وهما يشعران بالخزي. ونزل أمر الله على الجميع: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ، قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾.

\*\*\*\*\*

«الخارج من النعيم يرى كل من حوله ذئاباً ولو كانوا ملائكة».

\*\*\*\*\*

كانت الأرض تهتز من تحته، وأوراق أشجار جنة عدن تذرّوها الرياح العاتية فتطير وتصفع وجهه وجسده، وهو يسير حسيراً، وخليسته حواء تسير بجواره وكل ذرة فيها ترتجف حتى يدها الحنون التي تحتضن يده. لم يكن على جسديهما شيء يغطيها، إلا أوراق شجر محبوكة في بعضها يُثبّتانها بيد مهزوزة لئلا تقتلعها الريح الثائرة. وعند الأبواب الشمالية لِحَنة عدن، كانا يقفان بصعوبة على قدميهما، وبدرت منهما نظرة إلى المكان الذي سيخرجان منه، فقط نظرة واحدة، لكنها خلعت رويهما.

لم يكن مثل المكان الذي دخلا منه ولا حتى قريباً، بل كان شيئاً آخر يفجع الروح، كهف مظلم أسود ضيق بصخور يابسة وأرض حجرية، نظراً إليه فوجدا عنده ملك الموت ينظر إليهما نظرة لم ينسيها فارتعبا وظناً أنه موتهما، وعجزت أقدامهما عن تحمل المنظر؛ فسقطا على وجهيهما على الأرض يرتجفان من الهول. على بُعد خطوات كان يقف الملاك هاروت وماروت ممسكين بلوسيفر الذي كان ينظر إلى آدم بشماتة كريهة وليليث بجواره وسط ملكين من خزنة الجنة يحوطانها وهي تصرخ في آدم وتقول:

- آدم، أليس رب هذه الأرض قد خلقك؟ أيطردك هكذا؟ أهذا هو الرب؟

كان آدم ساكناً بلا حراك وبدا عليه الموت، فنادته بصوت أعلى:  
- آدم!

ثم استدارت عازمة على الهرب معطية ظهرها للملكين، لكنها فجأة انتفضت والتوى ذراعها حول جسدها دون أن يمسهما أحد، وأدير

جسدها لتواجه الملكين مُجَبَّرَة، ثم سقطت على ظهرها مغشيًا عليها،  
والنقطها أحد الملكين على كتفه ومضيا بها مبتعدين.

ومن وسط العواصف والأوراق الثائرة ظهر ظل لملاك ثالث يقترب،  
حتى تبين وجهه، كان متمثلًا في هيئة بشر، اقترب من آدم وانحنى عليه  
وقال له بصوته الذي يعرفه آدم جيدًا:

- آدم، إن ربك المَجِيد يُلَقِّنُك كلمة.

ارتجفت ملامح آدم وهو يرفع عينه إلى الملاك وقد اغبرَّ وجهه، وقال  
بصوت واهن:

- رازئيل.

نظر إليه الملاك رازئيل وقال له:

- أنت محفوظ برحمة الله يا آدم، وربك الرحمن يلقنك كلمات،  
بكلمة منها خلقك، وبكلمة منها قال لك كُن، وبكلمة منها تاب  
عليك، قم يا آدم وتلقَّ كلمة ربك.

توهج آدم بالأمل، وقام وجسده يرتعش وهو يشد على يد حواء  
ليقويها، ونظر إلى ما حوله، لم يكن هناك أحد. لوسيفر أخذه الملكان  
وأهبطاه من فوق سماء جبل ماتاريمون جسدًا داميًا مكسور الأجنحة  
ذليلاً ينظر إلى السماء في ذهول وهو يهوي كالنجم، وليليث أخذتها  
الملائكة ورمتها في أرض قاحلة لا زرع فيها ولا ماء، أما هو وحواء  
فقد ساقهما ملك الموت إلى ذلك الكهف المظلم، كهف المكفيلة، مغارة  
الموت.

### \*\*\*\*\* تَيمَت \*\*\*\*\*

صمت تام احتل المكان بعد انتهاء القصة، وأصبح لويب يمسك  
بالكروت وينظر إليها صامتًا بشرود، أما ليوبولد فاقترب من بوبي وقال:

- أتساءل عن الإنسان الأحمق الذي يحذره إلهه من الخطية فيفعلها، يبدو أن قصة آدم تنسخ نفسها في كل عصر، فأنت يا لعين حذرك أسياك في التنظيم ألا تخون فخنت وجلبت على نفسك هذا.

رفع ليوبولد المسدس أمام عين بوبي الذي اصفرَّ وجهه، لكن لويب قال وهو يتطلع إلى الكروت:

- دعه يا ليوبولد، إن هذه القصة التي رواها موجودة هنا حقًا بين ثنايا الرسومات.

قال بوبي وهو مطأطئ الرأس ساهمًا:

- الرسم موجود أمام العامة طيلة الوقت ولا يفهم شفرته إلا الخاصة. تحرك ليوبولد وجلس بالمقلوب على كرسي صغير أمام بوبي، وعقد ذراعيه على ظهر الكرسي ويده ما زالت تمسك بالمسدس في تهديد، وقال:

- دعه من هراء الأشياء المخفية يا بوبي، أنت ستخبرنا بكل أثر يدل على هذه القصة أو سأنتزع أحشاءك القذرة أمام عينك واحدًا واحدًا حتى تتكلم، قل لي، من أين أتت التنظيمات السرية بهذه القصة التي لم ترد في كتاب؟

ابتلع بوبي ريقه بخوف وهو يقول بصوت مرتعد:

- الفكرة أن البشر ينظرون إلى حكايات الكتب المقدسة على أنها دين فقط، ولا يأخذونها على أنها نصوص تاريخية أبدًا، رغم أنها أقوى توثيقًا من كتب التاريخ العادية. التنظيمات السرية هي الوحيدة التي نظرت إلى هذه النصوص على أنها تاريخ.. متحررين من أي عقيدة، بهذا جمعوا النصوص إلى جوار بعضها كما تفعل مع أي بحث تاريخي، وشيئًا فشيئًا بدأت بعض الكنوز تخرج من مخابئها.

توقف ليوبولد عن اللعب بالمسدس بين يديه وقال:

- أي نصوص؟ لا توجد لهذه القصة التي حكيتها أي نصوص.

قال بوبي بسرعة:

- نصوص التوراة والإنجيل والقرآن والحديث ومخطوطات اليهود والمسيحيين المخفية المسماة «كتب آدم وحواء المنسية»، كل هذا وُضع بجوار بعضه فخرجت القصة.

تدخل لويب هذه المرة ووضع الكروت جانبًا وقال:

- مستحيل، هذه الكتب تتعارض مع بعضها مواضع عديدة من قصة آدم، يبدو أن هذا الفتى يكذب يا ليوبولد.

أسرع بوبي قائلاً وهو ينظر إلى الكمبيوتر المحمول في قلق:

- بل الحقيقة أن كتب اليهود المخفية تتفق مع القرآن كثيرًا وتذكر أحداثًا من القصة تفرّد بها المسلمون وحدهم في قرآنهم وحديثهم دونًا عن بقية الأديان، مثل: سجود الملائكة لآدم، وامتناع إبليس عن السجود، والكلمات التي تلقاها آدم من ربه، وإرسال آدم بنييه إلى الجنة في آخر حياته، وقوله لهم: «انطلقوا فاجنوا لي من ثمار الجنة»، وطريقة موت آدم ودفنه المذكورة في الحديث، فحكماء التنظيم وضعوا فقط كل النصوص المتفقة وغير المتعارضة في لوحة واحدة، فرسمت لهم القصة، تمامًا مثل البحث التاريخ...

قاطعه ليوبولد بحدة:

- لماذا تنظر إلى التسجيل كل حين يا هذا؟ هل أنت خائف؟ لا تتعجل؛ فهذا التسجيل خاص بنا نحن حتى لا ننسى أي معلومة نقولها، أما التسجيل الذي سننشره على الموقع اللعين، فهو مقطع إعدامك، فوفر على نفسك القلق حتى ننتهي منك.

قال لويب لأخيه بصوت عالٍ:

- لا تقاطع اللعين في أثناء حديثه يا لعين، دع اللعين يتحدث.

رد ليوبولد بغضب:

- وأين السر المهم فيما قال؟

قال بوبي فرانك:

- السر الذي سيفتح النار على الجميع لو تمت إشاعته بين الناس

هو جنة عدن التي طُرد منها آدم، فمن بين النصوص المقدسة

المتفق عليها في الكتب السماوية، اتضح أن هذه الجنة كانت على

الأرض، لا في السماء.

التفت إليه ليوبولد قائلاً:

- أي هراء هذا؟

أكمل بوبي وهو يميل رأسه وعيناه تحدقان إلى موضع واحد كعادة

المتوحدين:

- ألم تقرأ في التوراة أن جنة عدن هي ملتقى أربعة أنهار،

واحد منها هو نهر الفرات المعروف، وعليه فهي على

الأرض، والسُّنة الصحيحة لمحمد نبي الإسلام، ذكرت في

حديث صحيح أن آدم قال لأولاده: «أي بني، إني أشتهي ما

يشتهي المريض، وإني أشتهي من ثمار الجنة فابغوني من

ثمار الجنة من ثمار الجنة»، فهي على الأرض، وإلا لكان

أولاده شياطين تطير إلى السماوات.

قال لويب باهتمام:

- دعك من هذا، ماذا تعني أنها سر سيؤدي كشفه إلى مشكلات؟

قال بوبي بصوت قلق:



- لقد عرف التنظيم موضع تلك الجنة بالضبط على الأرض، وإذا كُشف هذا الموضع فستشتعل لأجله حروب لا تنطفئ، أكبر من الحروب التي على القدس اليوم.
- أمسك ليوبولد بياقة بوبي وهو يقرب المسدس ويقول:
- لا تجعلني أسأل، أجب بنفسك وِصف لنا ذلك الموضع.
- قال بوبي مرتجفًا:
- لا تسأل.. سيكون كشفها في مجموعة الكروت التالية.
- أبعد ليوبولد المسدس متفهمًا، وقال لويب بصوت ساهم كأنه يحدث نفسه:
- لكن ليليث، كل الأديان وكتب التاريخ اتفقت على أنها أسطورة، كيف تقول القصة أنها حقيقة.
- قال له بوبي:
- ألم تسأل نفسك لماذا تقدر التنظيمات السرية إلى هذه الدرجة شيئًا هو مجرد أسطورة؟
- سكت لويب في شرود وبوبي يكمل:
- كل شيء بدأ من الحية التي أغوت آدم وحواء في التوراة، كان السؤال المنطقي هو: كيف تتكلم الحية؟ سيقول لك اليهود والمسيحيون إنها ليست إلا رمزًا، وستجد مفسري القرآن يحشرون قصص الحية حشرًا رغم أنه لا ذكر لها في القرآن ولا في أحاديث محمد، والحق أن السر الأعظم بدأ من تلك الحية التي عاشت كل هذه السنين تنتقل في كتب الأديان.
- دقَّ قلب لويب وهو يستمع صامتًا وبوبي يقول:
- مفتاح السر انكشف من «الزواهر» أهم كتاب في الكابالا -الأسرار الإلهية اليهودية-، حيث قال بوضوح إن قرينة الشيطان في الجنة كانت امرأة عادية تُلقَّب بالحية المُلتوية، وسقط

الغطاء عن السر لما تُرجمت التوراة إلى اللاتينية أول مرة، إذ ترجموا كلمة «ليليث» إلى «لاميا» التي هي في أساطير اليونان امرأة نصفها حية ونصفها امرأة، من هنا ظهر أصل الأسطورة.

قال لويب بدهشة:

- أنت تريد أن تقول إن كلمة الحية في التوراة هي لقب لامرأة عادية اسمها ليليث؟

رد بوبي مستعيدًا رباطة جأشه:

- نعم، ولُقبَت بالحية لخبثها، وقد استعان بها لوسيفر ليغوي آدم وحواء ويخرجهما من الجنة، وتحولت هذه المرأة، بوحى الشيطان بعد ذلك تقديسًا لها وإمعانًا في إضلال البشر، إلى إلهة تُعبد، فأصبح البابليون يعبدونها باسم «تيامات» إلهة البحر التي نصفها حية ونصفها امرأة، والسومريون يعبدونها باسم الحية «بيليلي»، والمصريون يعبدونها باسم «واجيت» التي هي امرأة بوجه حية، وهي نفسها الحية الموضوعة فوق رأس تمثال توت عنخ آمون الشهير، ولما أراد أهل التوراة أن يذكروها في سفر التكوين كتبوا فقط لقبها: الحية، وربما فعلوا ذلك تحقيقًا لها.

قال لويب:

- يبدو أن في كلامك بعض المنطق؛ فأشهر الرسامين دومًا يرسمون الحية التي أغوت آدم وحواء على هيئة امرأة، كرسمة مايكل أنجيلو الشهيرة على سقف كنيسة سيستينا.

قال بوبي وهو ينظر إلى التسجيل:

- ليس هذا هو الدليل الوحيد على وجود هذه المرأة، هناك المزيد، وسيأتي في درجة أعلى من الكروت.

قال لويب وقد تذكر أمرًا:

- من هو رازئيل ذاك؟ لم أسمع اسمه قبلاً!

زفر بوبي بتوتر وقال:

- رازئيل هو بداية خزانة الأسرار، هو في تعاليم اليهود الملاك الذي نزلت معه أسرار الكابالا وأعطاها للإنسان في كتاب يؤمنون أنه الكتاب المقدس لآدم ويسمونه سِفْر رازئيل.

قال ليوبولد بحدة:

- وما أهمية هذا في أي شيء؟

أغمض بوبي عينيه وكأنه يهدئ نفسه وقال:

- ستعرف فيما بعد.

شد ليوبولد المجموعة التالية من الكروت ونثرها أمام بوبي وهو يقول:

- إذن لا تُضَيِّع الوقت؛ فصبري بدأ ينفد.

نظر بوبي إلى الكروت وتنهَّد بأسف ثم قال:

- القصة التالية ستفتح مزيداً من الأبواب المغلقة، بدأ كشفها عندما ظهرت أربع مخطوطات قديمة في أماكن متفرقة من العالم، كل مخطوطة منها ترجع إلى زمن مختلف، ومكتوبة بلغة مختلفة، والغريب أنها كلها تحكي القصة الغريبة نفسها التي لا يعرفها أحد عن آدم وحواء ونشأة بني الإنسان، وعندما ظهرت هذه المخطوطات الأربع.. قلبت أفكار العالم، لأن مجرد اختلاف موضع اكتشافها ولغتها وحديثها عن القصة نفسها يعطي لهذه القصة مصداقية تاريخية، سمى الناس هذه المخطوطات «حياة آدم وحواء»، وهي في معظمها مذكرات كتبها آدم وحواء ليَصِفَا ما رآياه لأبنائهما.

لدينا هذه المرة ثلاث أوراق.

الورقة الأولى هي ورقة الأمل، وفيها صورة امرأة حزينة يحيط بها كهف مروع.

الورقة الثانية هي ورقة المُحبين، وفيها رجل وامرأة وراءهما ملاك مهيب.

الورقة الثالثة هي ورقة الغبي وفيها مُهرِّج شيطان يقوم برقصة ساخرة.